

مذبحة الأبرياء في قرية دير ياسين

للاستاذ على محمد سرطاوى



تقع قرية دير ياسين البالغ عدد سكانها (٧٠٠) نسمة، غربي بيت المقدس، بين المستعمرات اليهودية، وكانت تعيش مع اليهود على أحسن ما تكون الصداقة، ولم يمتد أحد من سكانها على أحد من اليهود.

ويوم كانت البلاد تشيع ابنها البار، وبطلها العظيم، الشهيد عبد القادر الحسيني، بطل القسطنطينية، إلى متواه الأخير، انقضت جموع غفيرة من اليهود المسلحين على تلك القرية وأمنت في السكان الأمنيين قتلا وذبحاً: فبلغ عدد القتلى (٢٥٠) قتيلًا. وكان من بينهم (٢٥) امرأة عاملاً، (٥٠) امرأة مرضعاً، و (٦٠) امرأة أو فتاة ذبحن ذبح الخراف في أفظع مظاهر القسوة. ثم جموا (١٥٠) امرأة وبعد أن مزقوا ملابسهن، واعتدرا عليهن، أركبوهن سيارات مكشوفة، وطافوا بهن الأحياء اليهودية. وكان الجمهور المهييوني المتمرد المهذب يرمجن بالحجارة ويبصق عليهن، ويشتم دينهن، ونبيهن، والجلادون واقفون فوق رؤوسهن، يتباهون بهذه البطولة، والجمهور يهتف لهم، ويطلق التصفيق، حتى إذا ما أنهتهم الطواف بهن، أوصلوهن إلى طرف الأحياء العربية، وأخذوا يقذفونهن إلى الأرض، ويطلقون الرصاص فوق رؤوسهن كبرا وجبروتاً وإرهاباً!

والذي يترامى أن الباعث النفسي الذي يحرك هؤلاء الناس، إلى أعمال وحشية من هذا النوع، لا يعود في أصله إلى وطنية صحيحة، ورغبة صادقة في العيش بسلام في جزء من الأرض، وإنما يعود إلى شعور هذه الطائفة، أفراداً وجماعات، بالجزع والجبن، واليأس عن الرجولة والشجاعة، لأن الرجل الشجاع لا يستبجح لنفسه أن يقتل طفلاً أو امرأة في مثل هذه السهولة، ثم يتباهى بما عمل من بطولة، وبما صنع من معجزات.

والتاريخ الحافل بالاضطهاد الذي ذاقه سرارته اليهود، في الزمن البعيد والقريب، كان كافياً ليرك في أعماق نفوسهم ثورة

جامحة مدمرة، على أي عمل يقترب على أيديهم، أو بسببهم، يتصل بالأساليب التي اضطهدوا بها، لو كانت لهم ضمائر تتعشى فيها الكرامة الإنسانية.

والذي يندد الحرية والاستقلال لا يطلبها عن طريق محاربة استقلال الآخرين وحريتهم. وإنسان من هذا النوع خليف بأن يحمر نفسه من ذل الزمن، وأن يتجرّد من القيود والنزعات الحمجية التي لا تسيطر إلا على الشعوب الساذجة التي لم تنل قسطاً من بقعة الضمير، قبل أن يرفع عييه إلى مصادر النور! وإيس مقياس مدنية شعب من الشعوب، هو مقدار ما يملك من قوة مادية، وإنما هو مقدار ما يملك من قوة روحية تدفعه إلى حب الخير، وإلى التمرد على الظلم في جميع صورته ومظاهره، والعقبات الزمنية التي يقف أمامها شعب من الشعوب في طريق سيره نحو الأبد المجهول، ليست إلا اختياراً عملياً، يقدمه ذلك الشعب للحياة، ليرى مقدار ما في طبيعته من حب للخير أو الخير لينجحه التاريخ الشهادة التي يستحقها.

ولقد نجدد شعب من الشعوب نفسه، وبدور حول الحقائق ويتحلل من شخصيته الصحيحة في سيره مع تيار الحياة، ولكنه لا يلبث أن يعود إلى قواعد نفسه مزمراً مدحوراً، كما يعود إلى نفسه وطبيعته المجرم الأفاق الذي يتظاهر بالورع المزيف، والتقوى التي ليس لها في حبه وجود.

واقف كاف الطموح الجنوني، في الأمس القريب، ألمانيا والعالم أجمع، فخايا، وآلاما، ومتاعب، كانت نهايتها انهيار هتلر ونظامه، ومن ورأهما ألمانيا العظيمة، تلك الأمة التي دمرها ذلك الطموح، وجرّعا مرارة الذل والخضوع.

واليهود، وهم حفنة في حساب العدد، بطمحوون إلى السيطرة على سبعة ملايين من العرب، بانزاعهم فلسطين، وهي قلبهم الحفاني، غير مقدرين النتائج الوخيمة التي ينطوي عليها هذا الاندفاع الجنوني.

والنظافة المتناهية، في صور القسوة والبربرية والحمجية، التي يمتدنون بها على النساء والأطفال والشيوخ، حتى على جثث الشهداء، سياسة يحسبون أن اتباعها يرهب العرب ويوصلهم إلى ما يريدون منهم. وقد نسوا أو تناسوا، أن العرب أمة عريقة في المجد، شديدة البأس، لا تلين لأساليب العنف، ولا يزيد ذلك إلا عنفواناً وصبراً وجلداً وتصميماً على الأخذ بالثأر، مهما